أطاعك وإلا كنت شهيدا عليه يوم القيامة وذكر الإمام في الآية قولين الأول أن كل نبي شاهد على قومه كما تقدم والثاني إن كل قرن وجمع يحصل في الدنيا فلا بد أن يحصل فيهم من يكون شهيدا ولا بد أن لا يكون جائز الخطأ وإلا لاحتاج إلى آخر وهكذا فيلزم التسلسل ووجود الشهيد كذلك في عصر النبي صلى ا عليه وسلّم ظاهر وأما بعده فلا بد في كل عصر من أقوام تقوم الحجة بقولهم وهم قائمون مقام الشهيد المعصوم ثم قال : وهذا يقتضي أن يكون إجماع الأمة حجة انتهى وإلى أنه لا بد في كل عصر ممن يكون قوله حجة على أهل عصره ذهب الجبائي وأكثر المعتزلة قال الطبرسي في مجمع البيان : ومذهبهم يوافق مذهب أصحابنا يعني الشيعة وإن خالفه في أن ذلك الحجة من هو وأنت تعلم أن الإستدلال بالآية على هذا المطلب ضعيف وتحقيق الكلام في ذلك يطلب من محله .

وقال الأصم : المراد بالشهيد أجزاء من الإنسان وذلك أنه تعالى ينطق عشرة أجزاء منه وهي الأذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان فتشهد عليه لأنه سبحانه قال في صفة الشهيد من أنفسهم .

وتعقبه القاضي وغيره بأن كونه شهيدا على الأمة يقتضي أن يكون غيرهم وأيضا قوله تعالى : من كل أمة يأبى ذلك إذ لا يصح وصف آحاد الأعضاء بأنها من الأمة : وأيضا مقابلة ذلك بقوله سبحانه : وجئنا بك شهيدا على هؤلاء يبعد ما ذكر كما لا يخفى والمراد بهؤلاء أمته A عند أكثر المفسرين ولم يستبعد أن يكون المراد بهم ما يشتمل الحاضرين وقت النزول وغيرهم إلى يوم القيامة فإن أعمال أمته E تعرض عليه بعد موته .

فقد روي عنه صلى ا تعالى عليه وسلم أنه قال حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ومماتي خير لكم تعرضون على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت ا تعالى عليه وما رأيت من شر استغفرت ا تعالى لكم بل جاء أن أعمال العبد تعرض على أقاربه من الموتى فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة أن النبي A قال : لا تفضحوا أمواتكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور وأخرج أحمد عن أنس مرفوعا إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وأخرجه أبو داود من حديث جابر بزيادة وألهمهم أن يعملوا بطاعتك .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء أنه قال إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤن فكان أبو الدرداء يقول عند ذلك : اللهم إني أعوذ بك أن يمقتني خالي عبد ا بن رواحة إذا لقيته يقول ذلك في سجوده والنبي A لأمته بمنزلة الوالد بل أولى ولم أقف على

ما عرض أعمال الأمم السابقة على أنبيائهم بعد الموت ولم أر من تعرض لذلك لانفيا ولا إثباتا فإن قيل : إنها تعرض فأمر الشهادة مما لا غبار عليه في نبي لم يبعث في أمته بعد خلوهم عنه نبي آخر وإن قيل : إنها لا تعرض احتاج أمر الشهادة إلى الفحص عن وجود أمر يفيد العلم المحصص لها أو التزام أن الشهيد ليس هو النبي وحده كما سمعت فيما سبق ثم إن حديث العرض على نبينا E يشكل عليه حديث ليذادن عن الحوض أقوام الخبر وقد ذكر ذلك المناوي ولم يجب عنه وقد أجبت عنه في بعض تعليقاتي فتأمل وقيل : المراد بهم شهداء الأمم وهم الأنبياء عليهم السلام لعلمه E بعقائدهم واستجماع شرعه لقواعدهم لا الأمة لأن كونه صلى ا تعالى عليه وسلم شهيدا على أمته علم مما تقدم فالآية مسوقة لشهادته E على الأنبياء A فتخلو عن التكرار ورد بأن المراد بشهادته E على أمته تزكيته وتعديله لهم بعد أن يشهدوا على تبليغ الأنبياء عليهم السلام حسبما علموه من كتابهم